

فرنسيس ستينغاس مترجماً لمقامات الحريري إلى الإنجليزية: المترجم الشارح

د. جفال سفيان

• جامعة مصطفى اسطبولي - معسكر - djeffalsofiane91@yahoo.fr

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على منهجية فرنسيس ستينغاس (Francis Steingass) في ترجمة مقامات الحريري. إذ اعتمد على إستراتيجية الترجمة الشارحة التي جعلت من النص الإنجليزي تفسيراً للنص الأصلي أكثر منه ترجمة له. ومن ثمة، جاءت إشكالية الدراسة على النحو الآتي: ما هي أهم الجوانب التي فقدتها النص الانجليزي بالاعتماد على هذه المنهجية؟ وقد اقتضت الضرورة العلمية على أن تتطرق هذه الدراسة إلى شقين: شق نظري خاض غمار أهم المفاهيم المتعلقة بالإشكالية على غرار الترجمة الشارحة، ومقامات الحريري، وخصائصها، وترجماتها؛ وشق تطبيقي عالج أهم المحطات التي اضطلع فيها المترجم بالشرح والتفسير، متبعةً في ذلك المنهج التحليلي، ومقترحةً بدائل ترجمية في كل حالة. من أهم النتائج التي خلص إليها البحث أن الترجمة الشارحة – وإن كانت لها وظيفة تقريبية – إلا أنها تلحق الضرر بالجانب الفني والجمالي للنص الأصلي، لاسيما إذا تعلق الأمر بنص أدبي مثل المقامة.

كلمات مفتاحية: مقامات الحريري، ترجمة شارحة، الجمالية، التفسير.

Abstract

The present paper sheds light on Francis Steingass translation of El Hariri Assemblies (El Makamate). In fact, the translator adopted Exegetic translation which consists in the explanation and the addition of information and details that had not been explicitly mentioned in the original. Hence, the research question of the study is: what can be lost when adopting such method? For the sake of the research, the paper sketches out literature review, dealing with definition of exegetic translation, the Hariri's Assemblies, features,... and a practical part tackling examples of exegetic translation and focusing on suggesting alternatives for each case. The paper adopts the analytical approach. Among the main findings of the paper the fact that exegetic translation can be helpful in providing the target reader with an approximate meaning, but it losses the aesthetic and artistic dimensions of the assembly.

Key-words: El Hariri Assemblies, exegetic translation, aesthetics, Explanation.

1 المقدمة:

لا يمكن الحديث عن التراث العربي المتميز بأنواعه الأدبية والإبداعية دون ذكر المقامات التي تُعتبر ميزة عربية خالصة، فما هي بالقصة القصيرة كما عهدنا الأدب العالمي، وما هي بالأحجية، وما هي بنص شعري، وإنما نوع أدبي قائم بحد ذاته، منفرد في قلبه، وسماته، ووظائفه. من بديع الزمان الهمذاني – الذي يُعتبر واضع هذا الفن – إلى الحريري، كانت المقامات الشغل الشاغل للمترجمين الغرب، بحيث أُعتبرت تنويجا للأدب العربي،

ومرآة للبيئة الاجتماعية الثقافية العربية. فاضطلع المترجمون من بلاد فارس والروم، أولاً، ثم فرنسا وألمانيا وبريطانيا، ثانياً، إلى نقلها إلى لغاتهم.

على ضوء ما سبق، خليق بنا معرفة المنهج الذي انتهجه "الآخر" في ترجمة التراث العربي، والمقاربة التي تبناها في نقل الخصائص الفنية والثقافية للمقامات، ومدى إحاطته بالخصوصيات الإبداعية والتعبيرية في اللغة العربية من صور بيانية ومحسنات بديعية وتلاعب لفظي، وتباين بين النثر والشعر، وكذا معرفة الجوانب التي ركز عليها في نقل هذا الفن إلى لغته. ومن ثمة، صيغت الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة على النحو الآتي: ما هي الجوانب التي يضيعها النص الهدف عند تبني المترجم فرانسيس ستينقاس للترجمة الشارحة في نقله لمقامات الحريري؟

ولأن الإشكالية الحالية متشعبة في طبيعتها، فقد انطوت على تساؤلات فرعية، أهمها: كيف تتجلى الترجمة الشارحة في النص الهدف؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار الترجمة الشارحة ترجمة؟ أليس التصرف والشرح المستفيض ابتعاداً عن الأصل؟ ولماذا يستغرق المترجم في الإضافة والحشو؟ وما هي حدود الترجمة الشارحة في نقل مقامات الحريري؟ ومتى تكون الترجمة الشارحة ضرورة ترجمية؟

تجدر الإشارة إلى أن الدراسة الحالية تنطبق إلى المقامة السابعة والعشرين، وهي المقامة "الوبرية". وقد اقتضت الضرورة العلمية أن تكون هذه المقامة هي مدونة هذا المقال نظراً لكونها الأنسب لإشكالية البحث. فالمترجم أسهب في هذه المقامة من الشرح والتبسيط، وكانت النسخة الإنجليزية أقرب ما تكون إلى تفسير للنص الأصلي. ولأن المقال الحالي يهتم أكثر بترجمة المقامة إلى اللغة الإنجليزية، فقد آثرنا أن يكون الاهتمام أكثر على الجانب الترجمي، وذلك من خلال تسليط الضوء على تاريخ ترجمة المقامات إلى اللغات الأخرى (لأن ترجمة المقامات بدأت مع توماس شنيري)، ومنهجية المترجم في نقل المقامات، وقراءة تحليلية لمقدمته.

تبدأ الدراسة بعرض مفهوم الترجمة الشارحة، مقترحة أهم التسميات التي عُرف بها هذه المفهوم في الدراسات الترجمية، ومُعرّجةً على نظرة أهم المنظرين في هذا المجال، كما تقدم أهم الإشكالات التي تطرحها الترجمة الشارحة. ثم تتطرق إلى مقامات الحريري، من حيث أدبيتها، وفنياتها، ووظيفتها التعليمية والجمالية. وقبل سبر أغوار الدراسة والتحليل، تقترح الدراسة نبذة تاريخية عن ترجمة مقامات الحريري إلى اللغة الإنجليزية، وتعرض قراءة لمقدمة المترجم. ختاماً، تقدم الورقة أهم النتائج وتقدم توصيات لدراسات مستقبلية.

1 الترجمة الشارحة في حدود المفهوم:

تُعرف الترجمة الشارحة في الدراسات الترجمية على أنها الترجمة التي تضطلع بإضافة معلومات وتفاصيل لم يذكرها الكاتب الأصلي بصريح العبارة. كما شهدت تسميات متنوعة: الترجمة التفسيرية (Exegetic Translation) عند هيرفي وهيغينز (Hervey and Higgins)، والترجمة التواصلية (Communicative translation) عند نيومارك (Newmark)، والترجمة الإفصاحية (Explicitation) عند فيني ودابلني (Vinay et Darbelnet). في هذا الصدد، يذكر هيرفي وهيغينز على أن الترجمة الشارحة هي نوع من أنواع الترجمة حيث

يكون النص المترجم بمثابة عرض مطول للنص الأصلي، ينطوي على شروح وتفاصيل مضافة لتسهيل الفهم والتلقي على القارئ المستهدف(1).

من الناحية الترجمية، تطرح الترجمة الشارحة إشكالات عدة تتعلق أساساً بمفهوم الأمانة لشكل النص الأصلي وبنيتة التركيبية والسردية. إذ يُنظر إليها على أنها تفسير للنص وليست ترجمة. ولأن مفهوم الترجمة ينطوي على مفهوم التكافؤ، فالترجمة الشارحة لا يمكن أن تُعد مكافئاً للنص الأصلي، إذ يغلب عليها التصرف والإضافة والاسترسال. في السياق نفسه، يمكن تلخيص أهم هذه الإشكالات في النقاط الآتي ذكرها:

1. الترجمة الشارحة تتنافى ومبدأ الأمانة في الترجمة. إذ أنها تتميز بحرية المترجم في التعامل مع

مختلف معطيات النص الأصلي، وبتصرفه في بنية النص وتركيبه،

2. تتسبب الترجمة الشارحة في الإخلال بالقيمة الفنية والجمالية للنص الأصلي، لاسيما إذا تعلق الأمر

بالنصوص الأدبية، فالشرح والتفسير يميع هذا البعد، ويجعل النص الهدف نصاً عادياً. ومن ثمة، فهي

تطرح أيضاً إشكالية "الضياع" في الترجمة، بحيث يكثر في هذا النوع من الترجمات خسران أبعاد

نصية متنوعة: من الجمالية إلى مقصدية الكاتب الأصلي، إلى الأسلوب، إلى المجاز وأنواعه..

3. تمس الترجمة الشارحة بكفاءة المترجم وقصور إبداعه. فالمترجم غالباً ما يلجأ إلى هذا النوع من

الترجمة لأنه لم يقدر على الإتيان بنص مكافئ للنص الأصلي،

2 مقامات الحريري:

تعد المقامة في الأدب العربي إحدى أعقد الأنواع الأدبية وأكثرها تميزاً بالبدیع والإعجاز اللغوي والبياني. وهي قصص قصيرة تتمحور حول شخص خيالي يحكي قصصاً تتميز بالحيلة والمكر. وهي نصوص تعليمية بالدرجة الأولى، إذ وُضعت في بادئ الأمر بغية تلقين قواعد اللغة العربية وجمالياتها للمتعلمين. لغةً، تقترن المقامة بمعنيين (2): أولهما، المجلس، كما ورد في قول زهير:

وفيه مقامات حسان وجوها وأندية ينتابها القول والفعل

أما المعنى الثاني، فيعود إلى الجماعة أو الأشخاص المتواجدين في هذا المجلس، بيان ذلك قول لبيد:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام.

أما اصطلاحاً، فيعرفها حنا الفاخوري على النحو الآتي: "شبه قصة قصيرة تدور حول بطل وهمي يروي أخباره راوية وهمي أيضاً، وبطلها رجل أحكم التحيل وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق، فكانت أخباره كلها تدور حول الكدية والخداع، والاحتيال والتمويه، لا تربطها وحدة موضوعية ولا تحيها شخصية حقيقية." (3) فالغالب في المقامة، هي الطريقة التي يروي من خلالها الراوي قصته، مركزاً على أسلوب التكتيك والإعتماد على البراعة الأسلوبية والقدرة البلاغية في تبليغ مبتغاه. وهي خاصية عربية، فما هي بالأحجوجة التي عُرفت في الأدب الغربي (Fables)، ولا بالقصة القصيرة، ولا بالأقصوصة، وإنما نوع أدبي قائم بحد ذاته.

وقد اختلف المؤرخون في أصل المقامة وواضعها الأول، حيث ذكر جبور عبد النور في معجمه أن فن المقامة ظهر في القرن العاشر الميلادي(4)، ومن ثمة، فهو يشاطر حنا الفاخوري في أن واضع هذا الأدب الأول

هو بديع الزمان الهمذاني على خلاف ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وابن قتيبة اللذان أرجعا المقامة إلى عصر أقدم من عصر الهمذاني دون ذكر صاحبها أو المكان الذي ظهرت فيه (5). مهما يكن، فالواضح أن المقامة قد ذاع صيتها مع بديع الزمان الهمذاني الذي - في حال لم يكن المؤسس لهذا الفن - فإنه أرسى قواعدها وألم بأهم خصائصها ومميزاتها الأسلوبية البلاغية.

بعد مقامات الهمذاني، ظهرت مقامات الحريري مكتملة (خمسون مقامة) سنة 1110 للميلاد (6) وهي لصاحبها القاسم بن علي الحريري، المولود في البصرة. وقد اعتمد الحريري على النسق نفسه الذي تميز به الهمذاني حيث أن البطل شخص وهمي يُدعى أبو زيد السروجي، وراوي المقامة الحارث بن همام. وتدور أحداث المقامات حول الكدية والحيلة، وهي تتأرجح بين الدروس الدنيئة والأخلاق الحميدة. كما اتسمت بالفكاهة والتهكم والطرفة الأدبية. فضلاً عن ذلك، تقدم المقامة القصة في قالب يتسم بالبعد الجمالي والفني، إذ أنها تعج بالصور البيانية والمحسنات البديعية والتلاعب بالألفاظ والعبارات. وفيما يلي أهم خصائص مقامات الحريري:

- النزعة التعليمية: إذ أن الهدف الأول من المقامة هو تعليم أسس اللغة العربية وأساليبها للمتعلمين، وهو ما كان يفعله رواد المقامة على غرار الهمذاني والحريري. التعليم هنا بشقيه اللغوي والديني، كما نلني في المقامة المراغية للحريري: "أنسيتم يا جهابذة النقد. وموابذة الحل والعقد. ما أبرزته طوارف القرائح. وبرز فيه الجذع على القارح. من العبارات المهذبة. والاستعارات المستعذبة. والرسائل الموشحة. والأساجيع المستملحة؟ وهل للقدماء إذا أنعم النظر. من حضر. غير المعاني المطروقة الموارد. المعقولة الشوارد. الماثورة عنهم لتقامد الموالد. لا لتقدم الصادر على الوارد؟" (7)
- التسجيع والتعقيد: وهي السمة الأبرز للمقامة، بحيث تتسم المقامة بالرونقة، وهي بذلك تضيف جمالية على النص. أما عن التعقيد، فيتمثل في التلاعب اللفظي واستعمال الغريب من التعبير والنادر من اللفظ. ومن أمثلة التسجيع والتعقيد قول الحريري في مقامته "المقامة الشعرية": "نبا بي مألّف الوطن، في شرح الزمن. لخطب حُشي، وخوف غُشي، فأرقت كأس الكرى، ونصصت ركاب السرى." (8) إذ ينطوي هذا المقطع القصير على العديد من التعابير الغريبة المعقدة على غرار نبا بي، وخطب حُشي، ونصصت ركاب السرى... وتعتمد كل المقامات على التركيبة نفسها من البداية إلى النهاية وهو ما يجعل الإلمام بها أمراً صعباً لغير المتعود على قراءة هذا النوع من الأدب.
- الأحاجي النحوية: وهي بمثابة طرائف ونكت يوظفها الكاتب في نصه يكون المراد منها تخفيف المهمة التعليمية وتسهيل التلقين والحفظ لدى المتعلم.
- المسائل الفقهية: الصنعانية للحريري: "أتظن أنك ستفطعك حالك؟ إذا آن ارتحالك؟ أو ينقذك مالك. حين توبّك أعمالك؟ أو يغني عنك ندمك. إذا زلت قدمك؟ أو يعطف عليك معشرك. يوم يضمك محشرك؟ هلا انتهجت محجة اهتدائك. وعجلت معالجة دائك؟...." (9)

• النزعة التوثيقية للفضاء والجغرافيا: إذ أن راوي المقامة يكون بمثابة الموثق والدليل الجغرافي لمختلف المناطق التي زارها، فيقوم بوصف ساكني تلك المناطق، وتحليل عقلياتهم، وذكر أهم ما تتميز به تلك المناطق، لذلك سُميت أغلب المقامات بأسماء المدن والمناطق التي تدور فيها القصة على غرار المقامة الاسكندرية والمغربية والعمانية والحلبية...

3 ترجمة مقامات الحريري إلى اللغة الإنجليزية:

أثارت مقامات الحريري اهتمام المستشرقين والدارسين الغربيين، ما دفعهم إلى ترجمتها إلى لغات عديدة أهمها الفرنسية بحيث برزت ترجمات عديدة، أهمها ترجمة جون جاك أنطوان كوسان (Jean Jaque Antoine Caussin) والذي عنوانها: *Les Cinquante Séances du Hariri, ou les Aventures d'Elhareth et d'Abouzeid de Seroudje* (المجالس الخمسون للحريري: أو مغامرات الحارث أبو زيد السروج) سنة 1818، وترجمة روني خوام (Renè Khawam) تحت عنوان: *Le Livre des malins : séances d'un vagabond de génie* (كتاب الماكين: مجالس صعلوك عبقرى) والتي نُشرت سنة 1996.

أما عن اللغة الإنجليزية، فإن أول ترجمة لمقامات الحريري كان قد اضطلع بها توماس شينيري (Thomas Shenery) سنة 1867 تحت عنوان « *The Assemblies of El Hariri* ». لم تكن ترجمة كاملة، إذ نقل شينيري المقامات الست والعشرين الأولى (من المقامة الصنعانية إلى المقامة الرقطاء)، ولم يكمل البقية نظراً لانتقاله إلى رئاسة تحرير جريدة التايمز (Times)، ثم وفاته سنة 1884. وقد أصدر ترجمته بمقدمة مطولة (102 صفحة) أودع فيها منهجه في الترجمة والمبادئ التي سعى إلى تطبيقها والاعتماد عليها في نقل الخصوصيات اللغوية والثقافية للمقامات. فضلا عن ذلك، فقد أورد شينيري ترجمة لمقدمة الحريري باللغة الانجليزية، وملخصاً قصيراً لكل مقامة على حدا. ينطلق شينيري في مقدمته من حقيقة مفادها أن التراث العربي منفرد في أدبه وفي ثراء إنتاجه. إذ يرى أنه من اللازم على كل مترجم لهذا التراث أن تكون له معرفة معمقة بطبيعة اللغة العربية وطرق الإنشاء والبيان بهذه اللغة، ناهيك عن الثقافة المقترنة بها.

في السياق نفسه، يذكر شينيري أنه حاول - طيلة عمله على ترجمة المقامات - أن يكبح نفسه عن التأثير بالأسلوب العربي بغية إعطاء نص جميل وسلس في اللغة الإنجليزية (10). وهنا يطرح المترجم قضية بارزة في علم الترجمة وهي قضية التوطين والتغريب. فالتوطين هو إخضاع النص الأصلي لإجبارات اللغة الهدف ورؤيتها للعالم، ما يجعل المترجم حراً في التصرف في النص وفقاً لما تمليه اللغة المنقول إليها، أما التغريب فيعني التمسك بالأصل والحرص على نقل الخصوصيات الأسلوبية للنص المصدر كما وردت، حتى لو بدت غريبة على الثقافة المنقول إليها. فالواضح أن توماس شينيري يؤثر التوطين، ويُعزى ذلك إلى استحالة تقليد نص المقامة من حيث السجع والكناية والبديع باللغة الانجليزية. فالهدف الأول للمترجم في هذه الحالة هو التعريف بالقصة موضوع المقامة وليس اللغة المستعملة والأساليب المعتمدة. كما يشير أيضاً إلى أن ترجمته ليست تقليداً للأصل من حيث التلاعب اللفظي، والإيقاع، والقافية لأنه يؤمن بأن الترجمة التي تراعي هذه الجوانب تكون بعيدة كل البعد عن

الدقة. وعلى المستوى النحوي، يؤكد أنه خضع تماماً لمنطق اللغة العربية إذ أنه يعترف بقصور الجهود المبذولة من قبل الغرب في شرح النحو العربي على أسس لاتينية حتى يتسنى لهم فهم هذا النظام النحوي.

وفي سنة 1891، قام مجمع الترجمة الشرقية (Oriental Translation Fund) في بريطانيا بإعادة بعث ترجمات التراث العربي، وقد تضمن هذا المشروع ترجمة المقامات المتبقية من مقامات الحريري والتعليق عليها (11). اضطلع فرنسيس ستينقاس (Francis Steingass) بنقل المقامات الأربع والعشرين المتبقية إلى اللغة الإنجليزية. وقد نُشرت مقامات ستينقاس ومقامات شينيري مجموعة في مجلد واحد سنة 1898. وعن القيمة الجمالية والأدبية للمقامات، يذكر أربيثوت (Arbuthnot) الذي حرر مقدمة النسخة الإنجليزية للمقامات أن مقامات الحريري تُعتبر: "إلى جانب القرآن الكريم أكثر الإنتاجات العربية رواجاً" (12). ولم يختلف ستينقاس في منهجه عن شينيري، إذ جعل من ترجمته توثيقاً للحياة الاجتماعية والثقافية للعرب من خلال شرح مضمون المقامة أولاً، ثم التعليق على الكلمات ذات المرجعيات الثقافية العربية بتفسير بغية تذليلها للقارئ المستهدف. فضلاً عن ذلك، فقد كابد ستينقاس الترجمة لكونه فقد بصره، ومع ذلك أكمل ترجمة المقامات. جاءت ترجمته في أربعة وثمان صفحات، تضمنت تصديراً لأربيثوت وملخصاً عن كل مقامة، والتعليق بين قوسين في حال تعلق الأمر بالكلمات الثقافية، وملحقاً للأعلام والشخصيات الوارد ذكرها في المقامات (الوليد بن مغيرة، النبي زكرياء، الزمخشري...) وللأماكن والمدن (زبيد اليمن) وللکلمات الثقافية (الزكاة، ياجوج ومأجوج، الخليفة...)

4 الترجمة الشارحة عند فرنسيس ستينقاس:

من الأهمية بما كان أن نستهل دراستنا التطبيقية بنبذة عن المترجم فرنسيس ستينقاس الذي اضطلع بنقل أعمال قيمة من الموروث العربي إلى اللغة الإنجليزية. إذ وُلد اللغوي والمشتشرق فرنسيس جوزيف ستينقاس سنة 1825 بفرانكفورت، ألمانيا. إهتم بدراسة اللغات الشرقية أهما العربية والفارسية، حيث أُلّف وترجم منها عدة مؤلفات: "قاموس الطالب عربي انجليزي" (The Student's Arabic English Dictionary)، "قاموس إنجليزي عربي" (English Arabic Dictionary)، "قاموس فارسي انجليزي ميسر، متضمناً كلمات وجمل عربية مشتركة" (A Comprehensive Persian-English Dictionary, Including the Arabic words and phrases to be met with in literature)، و"مقامات الحريري: ترجمة من العربية مع إحالات تاريخية ونحوية" (El Hariri Assemblies : From Arabic With Notes Historical and Grammatical). توفي ستينقاس سنة 1903.

يروى الحارث بن همام في المقامة الوبرية قصة حدثت له حين أراد مجاورة العرب من أجل الإمام التام بلغتهم وعاداتهم وثقافتهم. إذ يحكي أنه خلال رحلته، وبعد أن أنهكه السفر، اتكأ تحت شجرة وافرة الظلال. وبعد استيقاظه لم يجد الجمل. فأخذ يبحث عنه في كل مكان إلى أن يؤس من الأمر. في هذه اللحظات، جاءه رجل رحال، تبين له فيما بعد أنه أبو زيد السروجي الذي بدأ يشرح له نظرتة للعالم من خلال إنشاد بعض الأبيات الشعرية. ثم نصحه بأخذ قسط من الراحة. فاستجاب الحارث لذلك، بيد أنه بعد استيقاظه في ظلمات الليل، وجد أن السروجي قد سرق حصانه أيضاً. قام الراوي بالبحث في كل مكان دون فائدة. وفي صباح الغد، تقرب منه

قافلة يقودها السروجي وهو يمتطي الجمل الذي سُرق منه. وأخبره أنه لا أمل في استرجاع الفرس، وأن يأخذ الجمل خير له من يعود صفر اليدين. وتنتهي المقامة بالتسامح بين الشخصيتين.

لا تختلف المقامة الوبرية عن المقامات الأخرى من حيث التركيب السردى والتصوير الفنى والتلاعب اللفظي، واعتمادها على السجع والبيان وأضرب البديع وصوره. كما أنها تقدم توثيقاً لثقافة العرب حيث أن تسرد جملة من التعبيرات الخاصة بالثقافة المحلية، وهو ما يستغل استيعابه ونقله على المترجم، ويجعل مهمته معقدة كما سنلفي ذلك فيما يلي من الأمثلة والمقاطع التي أسهب فيها المترجم من الشرح والتذليل.

تتجلى الترجمة الشارحة منذ العتبة الأولى للمقامة متمثلةً في العنوان. بحيث سمى الحريري مقامته هذه بـ"الوبرية" نسبة إلى "أهل الوبر" وهم أهل البادية الذي كانوا يتخذون من وبر الإبل بيوتاً لهم، خلافاً لأهل المدر، أي أهل المدن لأن المدر هو البنايات التي كان يسكنها أهل المدينة. ومن ثمة، نجد المترجم ستينقاس ترجمها إلى (The Tent Dwellers) أي "ساكنو الخيم". الواضح أن المترجم قام بتبسيط العنوان، وتغادى تماماً معنى الوبر، وعبر عن ذلك بالمكان الذي كان يتخذ هؤلاء الناس مسكناً. فعوض المادة بالمكان، وفوت على المتلقي الإنجليزي فرصة معرفة خاصية ثقافية عربية مهمة جداً، وهي الاعتماد على وبر الإبل في بناء الخيمة. وكان من الممكن ترجمتها إلى (The Assembly of the Hair Tent Dwellers) .

كما يذكر الحارث بن همام: "وجعلت أضرب في الأرض غوراً ونجداً" للدلالة على أنه أخذ يبحث في كل الأماكن عن أهل الوبر من أجل مجاورتهم والعيش معهم، وتكمن الصعوبة هنا في ترجمة "غور" و"نجد". إذ أنهما منطقتان عربيتان، تتميز الأولى بأنها الأكثر انخفاضاً في العالم (غور الأردن حوالي 400م تحت سطح البحر)؛ والثانية من أكثرها ارتفاعاً (حوالي 1500م فوق سطح البحر). وقد اعتادت العرب على أن تعبر على انخفاض الأقاليم وارتفاعها بـ"غور" و"نجد". وهنا قام المترجم بنقلها إلى العبارة الآتية: « and begun to roam through low-lands and high-lands أي: "وبدأت أتجول من المناطق المنخفضة إلى المناطق المرتفعة". نلاحظ هنا أن الترجمة الإنجليزية جاءت شارحة للعبارة العربية الأصلية، رغم فقدانها لجانب معرفي وثقافي معتبر. وربما سيكون الأمر أصعب للقارئ الإنجليزي لو قال المترجم مثلاً: « and begun to roam through Najd to Jordan Vally بحيث سيجد المترجم نفسه مجبراً على إضافة إحالة على الهامش أو ملحقاً لشرح المعنى المتوخى من الكلمتين.

وقد جاء في المقامة أيضاً: "إلى أن اقتنيت هجمة من الراغية، وثلة من الثاغية"، وقد سمت العرب الناقة بالراغية والشاة بالثاغية. فلمت ترجمها ستينقاس أورد بين قوسين شرحاً لكل منهما: « Until i had got together a string of those that groan (i.e camels), along with a flock of those that bleat (i.e sheep) »، فالمترجم نقل معنى الراغية (groan) والثاغية (bleat) لكنه أضاف إليهما ما يحيلان إليه (camel) و (sheep) أي الناقة والشاة. ومن ثمة فهو يؤثر دائماً التفسير والتبسيط. ولنا أن نتساءل: هل كان من اللازم على المترجم أن يشرح لقارئه هذا المعنى؟ الطبيعي أن القارئ الأجنبي بالاختلاف المحوري في

فكره وثقافته لن يتمكن من فهم قصد الكاتب وهدفه الذي يرمي إليه لو أن المترجم لم يشرح، وهذا ما يدفعنا إلى التسليم بأن الترجمة الشارحة قد تكون أحياناً إجباراً، بل ضرورة أثناء فعل الترجمة.

يتحدث الراوي أيضاً عن استقبال أهل الوبر له، وترحيبهم به، وحمائيتهم له، فيقول عنهم: "أوطنوني أمتع جناب، وفلوا عني حذب كل ناب، فما تأوبني عندهم هم، ولا قرع صفاتي سهم." وهو موضع آخر قام فيه المترجم بالتفسير وإضافة الشرح حيث يقول: (they gave me a home with them, and turned (blunted) from me the edge of any (hostile) tooth. No care alighted upon me while i was with them, no arrow struck (the smoothness) of my rock". حتى لو أن الصورة البيانية المعبر عنها في النص الأصلي واضحة، إلا أن المترجم ارتأى إلى أن يستعمل الترجمة الشارحة. فالصفة في العربية هي الصخرة الملساء، وبدلاً من أن يقوم المترجم مثلاً بنقلها إلى « the smooth rock »، جعل صفة « smooth » زيادة في النص المترجم.

في موضع آخر أيضاً، يذكر الراوي أنه أطلق سراح الجمل ليرتع، فيقول: " وإلقاء حبليها على غاربها"، والغارب من البعير ما بين السنام والعنق. المقصود بالعبرة أنه فك مربطه، وجعله حراً. وقد عبر المترجم عن ذلك بقوله: « Throw hel halter upon her hump (allowing her to wander a twill) ». فالجملة بين القوسين هي إضافة المترجم، وقد شرح المعنى المحال إليه في الجملة العربية (السماح للإبل بالتجوال). وهنا لم يكن الشرح إجباراً مثل أمثلة سابقة، وإنما أراد المترجم ذلك.

في العبارة "حيعل الداعي إلى صلاته" ميزة عربية تتمثل في أسلوب النحت، حيث يحيل الفعل "حيعل" إلى جملة بأكملها وهي "حي على الصلاة" التي تتردد في الأذان. نقلها المترجم إلى « when the crier calls to prayer and to salvation » أي "دعا الداعي إلى الصلاة والفلاح" فالواضح أن المترجم قام بشرح الفعل "حيعل" لكنه أضاف "الفلاح" غير الموجودة في الأصل، هـ ما يُسمى في الدراسات الترجمة بالتعويض (Compensation)، معنى ذلك أن المترجم يشعر بأنه خسر جزءاً أو جانباً من المعنى، فيقوم بتعويضه في الترجمة بإضافة تفصيل أو فكرة أخرى.

تتجلى الترجمة الشارحة أيضاً إذا ما تعلق الأمر بالإلماح، ففي العبارة: "فنزلت عن متن الركوبة، لأداء المكتوبة" إحالة إلى الفرس (الركوبة) والصلاة (المكتوبة). من ثمة، نلفي المترجم قد لجأ مرة أخرى إلى الترجمة الشارحة « Then I alighted from my beast for the acquittance of the written ordinance » ومعناها الحرفي: "فنزلت من على الدابة للقيام بالأمر المكتوب." فترجمة الركوبة بـ beast والمكتوبة بـ written « ordinance » بيان آخر على أن الترجمة الشارحة قد تكون في أحيان كثيرة حلاً لا بد منه.

كما ورد في المقامة ذاتها قول مأثور وهو: "لأمر ما جدد قصير أنفه"، وهو المثل الذي يدل على المكر والخديعة. ولم يضطلع المترجم بإعطاء المكافئ الوظيفي في اللغة الهدف، كما هو معلوم في الترجمة، وإنما قام بترجمة المثل كما ورد في النص الأصلي: « For some purpose did Kosayr cutt off his nose » أي (لسبب ما قد قطع قصير أنفه) وهي صورة قد يستعصي فهمها على القارئ الأجنبي.

ومن الانزياحات الدلالية في الترجمة الشارحة نقل الجملة الآتية: "والهاجرة ذات لهب" إلى *and the heat is all aglow*. فالمعروف أن الهاجرة هي وقت ما بين الزوال إلى العصر، حيث تتسم بالحرارة الشديدة، لاسيما في البيئة العربية، فقام المترجم بتقادي ترجمة معنى "الوقت" والتركيز على "الحر"، حيث نقلها إلى "والحرارة تتوهج". ولو أن المترجم قد أدى المعنى المراد إلا أنه غير تركيز الكاتب، حيث وقع الانزياح الدلالي.

تؤدي الترجمة الشارحة إلى الإطناب كما حدث في ترجمة ستينقاس "شهري ناجر" إلى: *in the two months, when, the skin of the camels shrivels through excessive thirst*. المقصود بشهري ناجر شهر رجب وصفر اللذان وقعا في الحر في عصر الجاهلية، وقد أطلقت العرب على أي شهر يحل في فصل الحر تسمية "شهر ناجر". وبما أنها خاصية ثقافية لا يمكن أن يكون لها مكافئ اللغة الانجليزية، قام المترجم بشرحها، حيث إذا أعدنا ترجمة جملته إلى اللغة العربية نجد: "في الشهرين اللذين يتقلص فيهما جلد الإبل من شدة الظمأ". إذ حاول المترجم تقديم صورة تقريبية للقارئ الأجنبي. كان يمكن أن يقتصر المترجم "ناجر" إلى اللغة الانجليزية يضع إحالة على الهامش لشرحها.

والأمر نفسه في ترجمة الجملة "ذاك إليك" التي نقلها المترجم إلى *As thou wilt, I have no wish to thwart thee* بمعنى "كما تريد، ليست لدي رغبة لأرفض لك طلباً". بحيث تميزت العبارة العربية بالاقتضاب والسلاسة في حين جاءت الجملة الانجليزية طويلة مسترسلة. وهنا إجبار لغوي أملت طبيعة اللغة العربية ومقتضياتها التعبيرية.

يلجأ ستينقاس إلى الترجمة الشارحة أيضاً حين يواجه المحسنات البديعية العربية، بحيث أنه من الصعب ترجمتها بما يكافئها في اللغة الهدف، فنلفيه يحاول التبسيط والتفسير، كما هو الحال في المثال الآتي: "لا السروجي ولا المُسْرَج" فالسروجي هو بطل المقامة والمُسْرَج هو الحصان الذي سُرق منه. وردت في الترجمة الإنجليزية الجملة الآتية: *There was no friend of Seruj, and, alas, no saddle-beast*، ومعناها الحرفي: "لم يكن هناك صديقي السروجي، ولا الحصان المسرج". حاول المترجم أيضاً الإبقاء على معنى "الحصان المسرج" لكن فقد الجانب الفني للعبارة.

5 النتائج والتوصيات:

خلصت الدراسة في رحلتها إلى النتائج الآتي ذكرها:

1. اتسمت ترجمة فرانسيس ستينقاس للمقامة بالإسهاب في الشرح والتفسير، وهي ترجمة يلجأ إليها المترجم لأسباب متعددة، أهمها اختلاف النظم اللغوية والثقافية، وتعدد رؤى العالم بين القارئ العربي والقارئ الإنجليزي، وتقرب المترجم من المتلقي المستهدف،
2. تتشابه الترجمة الشارحة مع عدد من الإستراتيجيات الترجمية التي تطرق إليها منظرو الترجمة من قبل على غرار التوطين، والتصرف، والتكييف،... إذ تتشابه هذه الإستراتيجيات في كونها تمنح المترجم الحرية في التعامل مع النص المراد ترجمته، وكذا تفضيله للمتلقي المستهدف على حساب النص الأصلي،

3. الترجمة الشارحة عند ستينقاس نوعان: إجبارية، حيث تتعذر الترجمة المتكافئة؛ واختيارية، إذا ما رأى المترجم أهمية الشرح للمتلقي الهدف،
 4. ليست الترجمة الشارحة في كل الأحيان تمييزاً وتغييراً لسردية النص الأصلي وجماليته، فقد تكون في أحيان كثيرة حقيقة يفرضها الاختلاف الجوهرى بين اللغتين العربية والانجليزية،
 5. تتجلى الترجمة الشارحة عند ستينقاس في شكلين: إما زيادة في التعبير باللغة الإنجليزية، أو إضافة الشرح بين قوسين حيث يكون تدخل المترجم أكثر وضوحاً،
 6. يلجأ المترجم إلى الشرح إذا ما تعلق الأمر ب: الكلمات المنحوتة، الكلمات ذات مرجعية ثقافية، التلميحات، الأقوال المأثورة، المحسنات البديعية، الصور البيانية،..
 7. إن أهم الجوانب التي تفقدها الترجمة الشارحة هي: البعد الفني والجمالي للنص الأصلي، التمثلات الثقافية، التصوير البياني، التلاعب اللفظي، الوسائل التعبيرية التي تتيحها اللغة المنقول منها، وكذا القالب والشكل الذي وردت فيه المقامة.
- إضافة إلى ما سبق، تقترح الدراسة الحالية إمكانية تطرق دراسات مستقبلية إلى: حدود الشرح في ترجمة المقامات، مقتضيات الأمانة والتقيد بالنص الأصلي، الترجمة الشارحة وموضوع أخلاقيات الترجمة، الشرح وبلاغة الترجمة، الضياع في الاعتماد على الترجمة الشارحة، صورة العربي في ترجمة المقامات، ...

6 الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة خوض غمار ترجمة "الأخر" للتراث العربي، وركزت أكثر على الترجمة الشارحة عند فرانسيس ستينقاس للمقامة الوبرية من مقامات الحريري. كما سعت إلى الإجابة على الإشكالية الآتية: "ما هي الجوانب التي تضيعها الترجمة الشارحة لمقامات الحريري؟". بحيث تميزت هذه الترجمة بالشرح المستفيض للنص الأصلي، وإن كانت بعض المقاطع والخصوصيات اللغوية والثقافية تقتضي الشرح للمتلقي الهدف، فإن أغلب المواضع الأخرى كانت الترجمة الشارحة فيها خياراً غير صائب من لدن المترجم. وهنا تقتضي الضرورة العلمية إعادة النظر في حدود الشرح في ترجمة الآداب والنصوص الإبداعية، وتقيد الحالات التي يمكن للمترجم فيها اللجوء إلى هذه الإستراتيجية.

7 المراجع

(1) See, Shuttleworth.M, Cowie,M, « Dictionary of Translation Studies », Routledge Taylor and Francis Group, London, 1997, P53.

(2) يُنظر شوقي ضيف، "المقامة"، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ص 07

(3) حنا الفاخوري، "تاريخ الأدب العربي"، المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة العاشرة، 1980، ص 731.

(4) يُنظر جبور عبد النور، "المعجم الأدبي"، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص 260.

(5) يُنظر حنا الفاخوري، مرجع سابق، ص 733.

(6) يُنظر حنا الفاخوري، المرجع نفسه.

(7) الحريري، "مقامات الحريري"، دار بيروت للنشر والطباعة، بيروت، 1978، ص 49.

(8) الحريري، مرجع سابق، ص 179.

(9) الحريري، مرجع سابق، ص 16-17.

- (10) See Al Hariri, "The Assemblies of Al Hariri" , Translated by: Thomas Shenery, "Williams and Norgates, Vol 1, 1867, Pvii
- (11) See Al Hariri, "The Assemblies of Al Hariri" , Translated by: Francis Steingass, Royal Asiatic Society, Vol 2, 1898, P7.
- (12) Idem, P08.

MOKARABAT